

١٧ـ باب الشفاعة



أ- وقول الله عـز وجل : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

قد تكلم الناس في الشفـاعة واضطربت أقوالهم فيهـا وشذ المبتدعة بعـقيدة باطلة لذلك احتاج العلماء إلى الكلام فيها ،ويخصونها بالكلام حتى يعرف المؤمن الحق ويعتقد الاعتقاد الصحيح فيها .فبـاب الشفاعة أي بيان الشفاعة المثبتة والمنفية والحق والباطل فيها .

أ- وقوله تـعالى : ﴿أَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

أي أنذر يا محمد بالقرآن الذين يخافون أن يحشروا ويجمعوا إلى ربهم وهم المسلمون لأن الكفار لم يسمعوا ولم يستجيبوا .والإنذار : الإعلام مع التخويف

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَـفِـيعٌ﴾: هذه الشفاعة البـاطلة فإن العباد ليس لهم ولي ولا شفـيع بالكلية إلا من رضي الله قوله وعمله فـقط لأن الكفار يظنون أن لهم أولياء وشفـعاء ينقذونهم من النار ولا يدخلون النار بسببهـم حتى عبدوهم من دون الله (وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ فبين سبحانه أنه ليس للعبـاد ولي ولا شفيع دونه وأن شفاعة الكفار هذه باطلة وإن الشفاعـة الحق هي التي يأذن الله فيها لأنبيائه وأوليـائه وأهل طاعته في أهل التوحيد والإيمان لا في أهل الكفر والنفاق .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ : أي لأجل أن يتقوا الله ويستقيموا على دينه إذا عرفوا أنه لا شفاعة ولا ولاية من دونه فيوحدونه ويحذرون من غضبه .



ب - وقوله : ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر : ٤٤].

ج - وقوله : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

وقوله : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم : ٢٦].

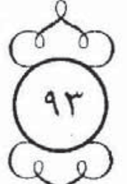
وقوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

ب - ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ .

أي قل للناس : إن الشفاعة لله وحده وقبل هذه الآية أنكر على من ادعى الشفعاء من دون الله من المشركين الذين يدعون الشفاعة لأصنامهم وأحجارهم وغيرها من المعبودات فنفي الله ذلك كما قال تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فالشفاعة له وحده سبحانه وإنما يشفع الأنبياء والصالحون بإذنه وهو يعطيها من يشاء فيجب أن تطلب منه ويقول : اللهم شفع فيَّ نبيك وشفع فيَّ عبادك الصالحين . . . . ولا مانع أن تطلب الشفاعة من الحي في حياته كأن يقول : يا رسول الله اشفع لي أن يرزقني الله أو تقول للرجل الصالح اشفع لي أن يغفر الله لي وادع أن يهديني . أما الأصنام والأموات والغائب كالملائكة فلا يطلب منهم ذلك لأنه لا يشعر ولا يدري عنك ولا يطلع على الغيب كما يعتقده الجهال والكفار .

ج - ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾ .

فبين سبحانه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وأنهم لا يشفعون إلا لمن



الآيتين [سبأ : ٢٢ ، ٢٣].

ـ قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله ، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها

ارتضى وأن الملائكة لا تملك إذنا في الشفاعة بل يملكها الله وحده . . فإذا كان هذا حال الملائكة والأنبياء والرسل لا يشفعون إلا بعد الإذن والرضا عن المشفوع فغيرهم من الصالحين والأطفال والأفراد من باب أولى .

ثم إن المتعلقين بهؤلاء الذين يدعونهم من دون الله يتعلقون بهم لأربعة أشياء بينها الله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ . . [سبأ : ٢٢-٢٣] والأربعة هي :

١- الملك : فيظنون أنهم يملكون شيئا والله هو المالك وحده .

٢- الشركة : فيظنون أنهم شركاء الله .

٣- المظاهرة : أي المساعدة والمعاونة مع الله تعالى وهو باطل .

٤- الشفاعة : فيظنون أن آلهتهم تشفع لهم .

فبين أنه لا شفاعة إلا بإذنه ولا شفاعة مستقلة كشفاعة الدنيا ، ففي الدنيا قد يشفع له من أجل خوفه منه أو من أجل حاجته إليه والله عز وجل منزه عن ذلك.

ـ قال أبو العباس وهوشيخ الإسلام : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون .

قوله : (فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منفية يوم القيامة كما نفاها

القـرآن، وأخبـر النبي ﷺ : «**أنه يأتي فـيسجـد لربه ويحمـده ـ لا يبدأ بالشـفـاعـة أولاً ـ ثم يقـال له: ارفع رأسك ، وقـل يسـمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع**»[٨٧] .

ﻫ - وقال أبو هريرة له ﷺ : من أسعد الناس بشـفاعتك؟ قال: «**من قـال : لا إلـه إلا الله خالصًا من قلبـه**»[٨٨] فـتلك الشـفاعـة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله .

القرآن : فمـنهم من يظن أن أصنامهم ومن يدعونهم يشـفعون لهم شفاعـة ملزمة وإنهم لا يحتاجون إلى إذن وأهم تقبل شفاعتـهم فيهم وأنهم يدخلون الجنة بسببها ولا يدخلون النار ولكن هذا في حق من يؤمن بالآخرة .أما من لم يؤمن بالآخرة .منهم فهم يعبدونهم ليشفعوا لهم في أمور الدنيا ومصالحها من حصول الرزق وما أشبهه فمقاصدهم بالشفاعة مقاصد عاجلة .وأكثر العرب لا يؤمن بالآخرة .

ﻫ - قال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله فقال : «**من قال لا إله إلا الله خالصا من قبله**» .

فأسعد الناس بشفاعته هم الموحدون وفي الحديث :«**إن لكل نبي دعـوة ... وإني ادخرت دعوتي شـفاعة لأمتي يوم القيامـة وهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشـرك بالله شيـئا**» [٨٩] فبين أنهـا لا تنفع أمته إلا من وحـد الله ،وأما من

---

(٨٧) **صحيح**.

رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) .

(٨٨) **صحيح**.

رواه البخاري (٩٩) .

(٨٩) **صحيح**.

رواه مسلم (١٩٩) من طريق أبي هريرة مرفوعا بلفظ «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته.وإني اختبأت دعوتي شـفاعة لأمتي يوم القيامة .فهي نائلة إن شاء الله ،من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**» .



وحقيقة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن، ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد الخالص . اهـ كلامه.

مات على غير الإسلام فلا شفاعة لهم وحقيقته : أنه سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم .

قوله : المقام المحمود : هو ثابت للنبي ﷺ وهو الذي يحمده عليه الأولون والآخرون قال تعالى : ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فهي الشفاعة العظمى على الصحيح .

وقيل أن المقام المحمود هو أن الله يجلسه معه على العرش يوم القيامة(٩٠) لكن في صحته -الحديث- نظر والمشهور الأول .

والشفاعة تفضل على المشفوع لأنها تفضل من الله بنفع هذا المشفوع فيه حتى دخل الجنة .فهذه هي حقيقة الشفاعة .

وهذا رد على أهل القبور بل هم محرومون من الشفاعة لاتباعهم بما يحرمهم من الشفاعة .

---

(٩٠) روي في ذلك أثر مجاهد عند ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٢٦٣٣) عند قوله تعالى ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وفي إسناده ليث بن أبي سليم هو ضعيف .

وعزاه السيوطي في «تفسيره» عند هذه الآية (٤/٣٥٧-٣٥٩) إلى ابن مردوية والديلمي بإسناده عن ابن عمر مرفوعا .وهذه الكتب مظنة الضعف خاصة عند الانفراد والصحيح في تفسير الآية هي الشفاعة العظمى كما سبق من قول الشارح وصححه الطبري كم في «تفسيره» وثبت في ذلك حديث كعب بن مالك وغيره وقد خرجتها في تحقيقي لكتاب الشفاء للقاضي عياض رقم (٥٨٨).

